

سكان الصور*

ربيع مروة

الفصل الأول

الصورة الأولى

صف ع جنب. طفي السيارة. نزال ع الأرض. اعطيني الكاميرا.

هويتك. وراق السيارة. رخصة السواقة.

افتاح الصندوق. التابلو. اعطيني الكاميرا.

وين ساكن؟ من وين بالأصل؟ شو بتشتغل؟ وين بتشتغل؟

صحافي؟ مسرحي؟ ممثل؟ وين بتمثل؟

مثلنا شوي؟ إيه هون.. بنص الطريق.. شو فيها؟.. بتستحي؟ بتخاف؟ بتتلبك؟ بتخجل؟

بتنحرج؟

ولو! ممثل وبيخاف يمثل قدام العالم؟

مثل!

افتاح الكاميرا؟

مين هاي؟ مين هيدا؟ مين هول؟

وين هاي؟ إيمتين هاي وهاي؟ شو هاي؟ وين هاي؟ مين هاي؟

وهاي؟

* / "سكان الصور" عنوان رواية لمحمد أبي سمرة عن دار النهار ٢٠٠٣، حلّ عنواناً في عمل ربيع مروة

بدون إذن من الكاتبة.

ليه هاملصق بالذات؟



ما بتعرف إنو ممنوع التصوير بالمنطقة هون؟
ما قتلتي، ليه هالصورة؟ ليه هاملصق بالتحديد؟



هيك بلشت قصة

هاملصق... بتذكّر كثير منيح، كنت بالسيارة بمنطقة قريطم، وتحديداً بالمربع الأمني لآل الحريري، بلمح صورة جمال عبد الناصر مع رفيق الحريري واقفين سوا.

بالأول ما صدقت، عملت لفه ورجعت لأتأكد.. صحيح... عبد الناصر والحريري سوا مجتمعين بنفس الصورة. كثير غريب.. أنا بعرف أنو الحريري وعبد الناصر ما بحياتهم التقو.. كيف ممكن تظهر هيك صورة؟ فعلاً شي غريب ومش عادي.. قلت لازم أخذ صورة لهاصورة المش عادية واحتفظ فيها.. مثل ما بالعاده ممكن يصير بأغلب المناطق اللبنانية، شي أخذت الصورة، بيوقفني شاب من أمن القصر ويصير يحقق معي.. بقيت تقريباً ساعتين بالتحقيق لحد ما اقتنع إنو ما في براسي أي مخطط مشبوه. هيك، تركني في حال سييلي، لكن قبل ما انطلق، طلب مني إنو خليه ببالي إذا شي مرّة احتجت لممثل، وقاللي:

أنا بحب التمثيل.. بحب مثل من أنا وزغير.. وبحس أني بقدر مثل أي دور.. مثلاً فيي إبيكي بسرعة ووقت اللي بدي.. بدك إبيكي؟ بدك إبيكي هلق هون؟ إذا بدك إبيكي ببكي.. رح إبيكي.. هـ..

سألته إذا فيي آخذلو كم صورة هيك ما بنسأه، وبيضل ببالي.. قاللي أكيد.
هول الصور.



للحقيقة، هول صور صديقي زياد.. هو ما قبل صورو.. كان بدو، بس قال ما بيقدر لضرورات أمنية إلها علاقا بطبيعة عملو.. خاف.. قتلته، ولو! بالأمن واضرب واطرح وبتخاف ناخذلك صورة؟ زجرني.. حملت حالي وفليت عالسرير..



فعلاً هالصورة غريبه. في شي ما بيركب بالراس.. قصدي كيف ممكن يكون شخصين ما التقو ولا مرّة بالحياة عندهن هيك صوراً؟ وكيف ممكن يلتقي شخصين مع بعض إذا كانوا اتنيناتهن صارو بينتمو لعالم الأموات؟ هل هيدا بيعني أنو هاللقاء صار بعد الموت؟ طيب مين أخذ الصورة؟ مصور ميت كمان أو شي

ممکن کمان نقول عن هالصورة باعتبارها مُركَّبه، أنها تستنفر الأموات في عالم الأحياء، في بلد يصرّ سكانو على استدعاء أمواتهنّ لاستخدامهنّ كسلاح في معاركهنّ اليومية الي لم تنته وعلى الأرجح لن تنتهي.

وفينا نحكي ونقول كثير أشياء عن هالصورة من حيث انها صورة مُركَّبه، بس يللي مش قانعني بالموضوع هوي ليه يللي ركب هالصورة قرر يخفي المونتاج اللي عملو ويخلق هالوهم بأنو هالصورة مزبوظة ومش مركَّبه؟

قصدي، كان فيه يصمم الملصق من دون هالتلاعب متل ما بيصير بمعظم الملصقات.. مثلاً خود هالتلات أمثله:



هول صور دعائيه سياسيه ما فيها أي لبس أو تلاعب... المونتاج واضح.. والتركيب أيضاً



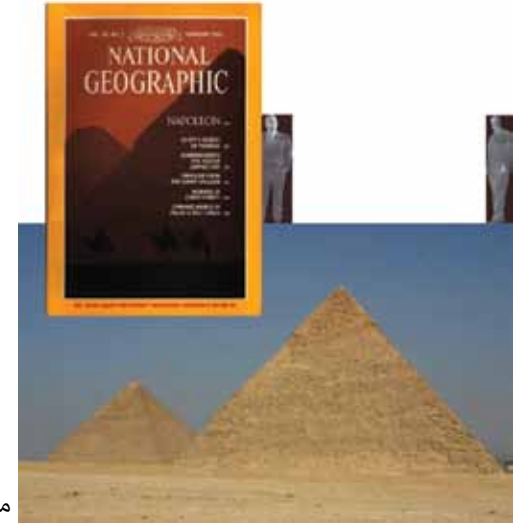
مفضوح.. ما في شي مخبأ.. بس هون بهالمصق، المونتاج مش واضح والتركيب مخبأ.. في فبركة عم تجرب تخفي أدواتها. وللصراحة ما عم لاقى سبب مقنع ليه بدو هالشخص يخلق عنا هالوهم وهوي بيعرف تماماً إنو ما حدا رح يصدق أنو هاللقاء تم أو ممكن بيوم من الأيام يتم.

أنا شخصياً مُصر أنو ما في تلاعب بهالصورة ولا تركيب ولا مونتاج.. هاي صورة مزبوظة وهيدا اللقاء صار وعن جد صار بس بعد ما ماتو مش قبل.. يعني عبد الناصر التقى بالحريري بالصورة، من بعد الموت.. وهاللقاء ما كان ممكن أنو يحصل لو ما اتنيناتهم بيتنمو لعالم الأموات.. يعني كان من المستحيل أنو يصير وبأي شكل من الأشكال قبل مقتل الحريري.

مصور هاوي ومش محترف متلي كان عم بيصور شو ما كان وفجأة بين شي بالصورة ما ممكن ينشاف بالعين المجردة؟

فرجيت هالصورة لأحد الأصدقاء، قاللي هيدي فوتومونتاج أو فوتو مانيبيوليشن. وبالعربي بيصح قول: تلاعب بالصورة أو صور مفبركة.

تزكرت قصة إلها علاقة بموضوع الصور المفبركة، عملت ضجّه بوقتها. بسنة ٨٢، مجلة "ناشونال جيوغرافيك" بتقرر تقرب هرمين من أهرامات مصر لحد بعض، حتى يركبو بقلب صورة الغلاف اللي هي عامودية، فزركوهن عبعض.



ما بعرف.. فكرت ممكن يكون الهرم الأول هو عبد الناصر والهرم الثاني رفيق الحريري، وأتو شخص ما قرر يقربهن عبعض ليصيرو بصورا وحده. بس ليه بدو يعمل هيك؟



أكد هينّ نقول إنو هيدي صورة مركَّبه وهاللقاء ما تم ونهني الموضوع. أو منقول مثلاً: واحد جايي عبالو يلعب أو يعمل عمل فضائحي، جمعهنّ مع بعض. أو ممكن كمان نحط هالصورة تحت هدف نضالي تعبوي من خلال هاللقاء المُتخيّل. بنقدر نزيد كمان إنو الحريري الإبن حبّ يستدعي الرجلين لاعتبارات سياسيه آنيّه، فحشرهن في صورة وحده ليأكدلنا أنو وريث سياسه عربويّه عريقه ذات تاريخ نضالي طويل وميرير ضد الامبريالية العالمية ورببيتها الدولة الصهيونية؛ تاريخ نضالي عنوانه الأول فلسطين العرييه وشعاره التلات لاءات: لا صلح، لا تفاوض، لا اعتراف.

صارت الصورة بالأبيض والأسود مثل ما ملاحظين. فتشت عالصورا الأصلية اللي بالأساس إجا منها عبد الناصر، ما لقيتها. لكن بالمقابل لقيت هاملصق اللي انعمل بذكرى ميلادو..



لقيتو بأرشيف الجامعة الأميركية.. طبعاً لمن ترك عبد الناصر الصورة ليزور الحريري، المملصق الأصلي صار فاضي.



بس مين هوي جمال عبد الناصر ومين هوي رفيق الحريري؟
أكيد هالشخصين بغنى عن التعريف، لهيك رح نقفز فوق النقطة ونكفي.

بالحقيقة في كتير صور من هالقبيل.. وكأنو الأموات بيتنقلو من صورة لصورة.. بيتركو صورة ليسكنو بصورة تانيه. هاي مجموعة من الصور.



في كتير صور هجرها أصحابها.. وخَلَو بصور تانيه.. الصور مثل الأوطان، مثل البيوت أحياناً، الواحد بيضطر يتركها أو بييجي عبالو يغيرها من وقت للتاني.. هاي أمثله أخرى لصور هجرها أصحابها:



بعرف إنو اللي عم قولو مش منطقي ولاعلمي وضرب من الهلوسه. إيه موافق. بس رغم هالشي أنا مصر صدق أنو عبد الناصر والحريري التقو. والأدق أنو عبد الناصر هوي اللي التقى بالحريري.. راح زارو بقصره بقريطم والدليل أنو الصورة الأصلية للحريري واقف



صورة بالألوان.. هلق لمن إجا لعندو عبد الناصر قدام قصره.



بتطلع عالصورة وبلاقها كثير عادي.. ما فيها إخراج فني. شخصين واقفين حد بعض على طبيعتهم من دون أي تكلف. ما عم يتطلعو صوب المصور ولا طبعاً بالعدسه.. ما في هبة شخص مفروضه على الشخص الثاني.. اتنين مرتاحين.. مش مشدودين.. كأنو كل شي طبيعي ورايق.. زيارة وديه لا أكثر ولا أقل.. وما بتحمل أي مفاجآت.. كأنها صورة مأخوده لنحفظها بألبوم العيله.. ما كأنها صورة بتأرخ لقاء زعيمين. لا بل توحى أكثر بلقاء أب مع أب في يوم عطلة. بيبين راضيين عن شو أنجزو خلال أسبوع عمل.. وكأنو مش أول لقاء بيناتهن ولا آخر لقاء.. صورة أخذت ع غفله منهن.. وفي حال مش ع غفلة وكان معهن خبرها، فهدفها بهالحاله إنها تبث الطمأنينه في نفوس مشاهديها بإظهار هالحميميه بيناتهن.. لأنو هاي صورة ما التقت على طاولة مفاوضات، ولا خلال إجتماع عمل ولا في مقر أو مركز سياسي رسمي، إنما ببيت خاص وتحديداً بحديقة البيت. والحديقة هون مثل البلكون.. شرفة البيت واللي بترمز للمكان الواقع بين داخل البيت وخارجو. المكان المعلق بين الخاص والعام.. وكأنو هالصورة بتفرجي الزعيمين بهالمكان المعلق بين الخاص والعام.. ما بين بين.. يعني، بعد ما خلصو إجتماعهن الخاص وقبل ما يطلو عالعام ليعلنوا نتيجة هالخلوه للناس..

خلاصة القول إنو هالصورة مانها دعائيه ولا هدفها دعم أي حملة سياسيه ولا هدفها بالأساس تعبوي جماهيري.. على عكس استخدام الملصق لإلها.. إيه؛ في الصورة وفي الملصق اللي بقلبو هالصورة.. هاملصق اللي يحمل توقيع حركة الناصريين الأحرار.



هيدا الملصق برأيي عم بيخون الصورة، لأنو هدفو تعبوي.

وحركة الناصريين الأحرار قصة بحد ذاتا. بيكفي نذكر إنها حركة لبنانيه انشقت حديثاً عن الحركة الأم اللي تأسست ببدايات الحرب الأهليه وعرفت بإسم المرابطون - حركة الناصريين



المستقلين.. المرابطون هني اللي صممو الملصق الأول
جمال عبد الناصر يتكو بعد ما تعب من وحدة قاتلة وهلك من ثورة لا تهدأ ومل من حياة لا تموت. فقرر الهجر..



أما بالنسبه للوقت بهالصورة فواضح أنو اللقاء ما عندو تاريخ محدد.. ما بنعرف بأي يوم التقوا ولا بأي ساعة.. حتى ما فينا نجم إذا كان بالنهار أو بالليل لأنو الضو مش واضح بالصورة.. حتى الثياب اللي لابسينها ما بيفيدونا بهالموضوع. بدله فيها تنلبس بالشتا وبالصيف، بالنهار وبالليل وبتصلح لكل المناسبات الرسمية وغير الرسمية ولكل الفصول والأوقات.. الشي الوحيد اللي فينا نأكدو هو مكان اللقاء: مثل ما ذكرت قبل: حديقة قصر الحريري في منطقة المربع الأمني/ قريطم، بيروت الغربية، لبنان، الشرق الأوسط... واللي فينا كمان نأكدو هو أنو هاللقاء تم بعد اغتيال الحريري مش قبل، يعني بعد ١٤ شباط الـ ٢٠٠٥.

برأيي، هالنوع من الصور يزدرى الوقت.. وما بيعيرو أي اهتمام.. وكأنو الوقت في عالم الأموات وقت فالت وحسابانو بيتم بمقاييس مختلفه عن كيفية حسابان الوقت بعالم الأحياء. يمكن الوقت بهالصورة يشبه الوقت بالأحلام. لهيك في يكون رفيق الحريري بالصورة أكبر سنّاً من جمال عبد الناصر من دون ما نستغرب الأمر. مع إنو الحريري خلق بسنة الـ ٤٤ وعبد الناصر بسنة الـ ١٨.

على كل حال، الصور بتدعي أنو بمقدورها تجمّد الوقت وتحبسو مقابل هروبو الدائم

في وجّ عروبة هؤلاء، المزيفة والمشبوهة. عربوتنا هي الاسلام المعتدل، وليس السلفي، ولا المتزمت ولا الأصولي. هذا هو الإسلام الحق وهذه هي العروبة الحقّة، وكل ما عداهما فهو باطل. بالمقابل، الحريري الأب يؤكد لعبد الناصر الزعيم أن عربوته لن تموت وأن الناصرية ستبقى حية ما دامت الراية في عهدة الحريري الابن الذي حتماً سيرفعها عالية خفاقة.



على كل الاحوال هاللقاء مع عبد الناصر ما عندو أي ثقل، وما بقا عندو الوقع نفسو اللي كان ممكن يكون عندويّاه لمن كان عبد الناصر بعدو على قيد الحياة.. وقتها كان ممكن يغير كثير بالمعادله، بس اليوم ما شي.. فإذا هيدا اللقاء منو إلا لقاء معنوي وفي أقصى مهماتو فيه يكون لقاء استشاري أو لقاء تبادل آراء لا أكثر ولا أقل..



وفي وصف عروبة عبد الناصر فعل تأنيث، يمكن هيدا إلو علاقة بموتو العادي وغير الدراماتيكي واللي أتى على عكس مقتل الحريري الملحمي والعنيف جداً. وبالعودة للسؤال حول معنى هاللقاء، ربما رمزيتو جايي من الطابع الجنساني لموتتين مختلفين: موت عبد الناصر ذو الطابع الأنثوي، وموت الحريري ذو الطابع الذكوري. وكأن اللقاء هو عقد زواج بين هالموتتين.

ما ننسى أنو عبد الناصر مات مهزوم والأعلام العربية كانت لا تزال منكسه. وعلى ما كتب جورج طرابيشي بكتابه "المرض بالغرب": إسرائيل خصت الأب المتمثل وقتها بعبد الناصر وما تركتو خيار سوى الموت قهراً. وعلى الرغم من وفاء الجماهير العربية لهالقائد العربي الكبير، بقيت مرارة الهزيمة معلقة في كل فم، وخاصة بعد رحيله المفاجيء من جراء موته طبيعياً. موته لا تليق بالأبطال. رحيلو إجا قبل ما تسترد الأمة العربية كرامتها وعزتها.

مات من دون ما يوتّي بـ"وعده الصادق". مات من جراء الحزن، من أسى الهزيمة اللي ألحقتها إسرائيل بالعرب بحرب حزيران الـ٦٧. مات مثل ما ممكن شي أم تموت من ورا الحزن الكبير والأسى العميق اللي ممكن يصيبها بعد فقدان ولد حبيب. أما الحريري فقتل، اغتيل، فُجّر... مثل ما الأبطال بيحلمو بموتو.. القتلة كانوا بحاجة لشي مية كيلوغرام وأكثر من المتفجرات والت.ن.ت. ليتخلّصو منو. ما كان هدف سهل، وهو ما سلّم بسهولة أبداً. مات شهيداً. أما بالنسبة لعبد الناصر، فالجيش الإسرائيلي احتاج ٦ ايام بس ليلحق الهزيمة بالجيش العربي

بالحياة.. لهيك فينا كمان نشوف، مثلاً، مملصقات حركة أمل اللي بنشوف فيها صورة لرئيس الحركة نبيه بري وإلى جانب صورتو صورة للإمام المغيّب موسى الصدر، بنلاحظ كيف نبيه بري عم يكبر بالعمر بين مملصق والثاني بينما الإمام الصدر بعدو بكل الصور بنفس العمر.. وطالما الإمام مُغيب إذا رح يضل عمرو بالصورة ٤٩ سنة..... أما بزّي فمع الوقت رح يضل يكبر ويكبر ليجي اليوم اللي خلص؛ ما بقا فيه يكبر أكثر...

بس خيلنا بموضوعنا.. لقاء عبد الناصر - الحريري.

بما إنو من الصعب لا بل مستحيل، تحديد تاريخ اللقاء، فينا عالقيليه نزعم إنو هاللقاء صار قبل كم يوم من النهار اللي شفت فيه المملصق، يعني باب ٢٠٠٧.

بس شو صار باب ٢٠٠٧؟

للصراحة ما بتذكر شو صار، بس بعدني بذكر شو صار بأول هالسنه، يعني بكانون الثاني ٢٠٠٧.. أكيد بعد ما حدا من سكان بيروت نسي الاشتباكات والصدامات اللي صارت بالجامعة العربية ومحيطها بين مناصري قوى الرابع عشر من آذار وعزّاسهم تيار المستقبل التابع للحريري وقوى الثامن من آذار وعزّاسهم حزب الله وحركة أمل. ومثل ما معروف وقتها، سرعان ما تحولت هالاشتباكات إلى تشنج واصطدام طائفي - إسلامي بين السنّه والشيعه.. ومثل ما معروف كمان أنو هالمشكل الطائفي منو جديد عالبلد ولا عالمنطقه بأسرها.. لكن بعد هالحادثه تفاقمت الأمور أكثر بين الطائفتين وطبعاً المقصود بلبنان.. لهيك، هل فينا نعتبر هاللقاء بين الحريري وعبد الناصر لما يمثل كل منهما للبنان والعرب وللطائفة السنيه، كلقاء دعم للحريري الابن في لحظة سياسيه وربما عسكريه حرجه ومُرّيه؟ هل هي محاوله لتحريك أو تجييش الطائفة السنيه في وجّ خطر المد الشيوعي بالمنطقة والمدعوم إيرانياً، مع "nuance" زغير وهوو أنو هالتجييش يجب أن يأتي بعيداً عن التعصب الطائفي! إيه! يعني طائفي بس بلا تعصب..

الأب - الحريري، المسلم المعتدل، الليبرالي، النهضوي، العروبي يدعو عبد الناصر اللي هوو مسلم معتدل أيضاً، نهضوي أيضاً، وعروبي طبعاً، ليلتقي به في قصره. يلبي عبد الناصر الدعوه ويأتي لبيابح الحريري الابن ع الخلافة للخط العروبي الأصيل، فيعلنا معاً، أن عربوتنا هي العروبة الحقيقية



بنهاية هالفصل، بحب ضيف ملاحظة أخيرة:

بالعادة، الأحياء بيدرسو اللي إجو قبلهن.. أما الأموات فكأنهن بيدرسو اللي إجو من بعدهن..

لهيك عبد الناصر هوّي اللي زار الحريري ومش العكس.. يمكن إجا لعندو ليسألو شو صار بالعروبة، شو صار بفلسطين وبالقضية الفلسطينية.. كيف الوضع بالسودان، بغزة.. كيف لبنان.. يسألو عن الاتحاد السوفياتي والحرب الباردة.. وطبعاً عن الصراع العربي الإسرائيلي.. وشو صار بمصر من بعد موتي.. ويمكن الحريري خبّرو إنو السادات حرّز مصر عن طريق التفاوض والصلح والاستسلام.. ودفع حياتو تمّن هالشي..

يمكن اتفقو يروحو يزوروا السادات بشي صورة، ويمكن راحو وما لاقوه بأي صورة. يمكن السادات قرر يهجر ويسكن بشي صورة بعيدة وما حدا فيه يلاقيها.. ويمكن ويمكن ويمكن.. وبالأخر كلو هيدا ببدا بـ"يمكن"، وما في شي أكيد إلا هالتخمينات اللي بتبلسّ بهالكلمه: يمكن.. ويمكن هيدا أحلى شي بالموضوع.. يمكن...

ويذل قائدها وبالتالي تتخلص منو من دون ما تحتاج حتى إنو تدقروا جسدياً. لقاء الحريري بناصر منو إلا محاوله لجمع، أو يصح أيضاً لجمع، بين مشروع عربوي أجهض بموت القائد؛ الموت ذو الطابع الأنثوي، باستشهاد ملحمي حوّل رجل أعمال وسياسي إلى قائد، ولكن من دون أي مشروع للعرب والعروبويين.. من هون أهمية هاللقاء.. لقاء الشراكة إلى حد التزاوج لإنجاب صورة عن عروبه مكتمله وتقديهما للحريري الابن، وريتهما الشرعي في لبنان...

ولكن واقتباساً مما كتب حازم صاغية في كتابو "وداع العروبة"، إنو هالرغبة لاستعادة العروبه بالطريقة، مانها إلا "رغبة أولية وطفلية سابقة على التجربة والاجتماع، تشبه البقاء في الزمن السابق على قطع حبل السرة".

على الاقل خلينا نقول أنو محاولة جمع عروبة عبد الناصر بعروبة الحريري فيها شي بيدكّر بقصص الأطفال، وتحديداً قصة "الأميرة النائمة" اللي ما رح توعى إلا ببوسة الأمير. فيها تكون عروبة الحريري الأب هي الأمير اللي عم بيفتش عميرتو اللي مانها إلا عروبة عبد الناصر النايمة. وما إضافة عروبة الأول على عروبة الثاني إلا هالقبلة على الشفاه اللي ستوقظ العروبة الحقيقيه من نومها الطويل، ناهضةً من كبوتها، بهيةً تشع نوراً فوق كل الأقطار العربية التي لا بد وأن يأتي يوم وتتحد كلها في أمة واحدة ذات رسالة خالدة... وفينا نغير الشعار إذا حدا عندو حساسيه منو..

فعلاً هيدا لقاء استثنائي يجمع رجلين، إلى حد ما، اتنيناتهم حدثويين مع الفارق والاختلاف الكبير بين نظرة كل واحد منهن لمفهوم الحدائنه. عبدالناصر اشتراكي، حمل لواء النهضة والتحديث بمصر على طريقتو مع كل العلل والمصايب اللي رافقت هالمشروع.

الحريري ليبرالي، كمان حمل لواء النهضة ببلدو الزغير والتحديث على طريقتو وبرغم كل العلل والاختطاء اللي رافقت مشروعو.

الأول قُتل رمزيّاً على يد النظام الإسرائيلي والثاني، وعلى حد ما قيل في أوساط الحريري الإبن، إنه قتل أيضاً رمزيّاً على يد النظام المخبراتي في سوريا والله أعلم... وكأنو هاللقاء اللي حصل بهالمصق، يفيض بطريقه مواربه ومخفيّه تواطوء وغير مقصود بين نظامين في حالة عداة دائم وصراع مؤبد. هالنظامان يجهدان أبداً لإجهاض أي محاولة نهضوية أو تحديثية على صعيد بناء دولة مؤسسات ذات حقوق مدنية في أي بلد عربي، حتى لو كانت هالمحاولات ضعيفه وركيكه ومشوّهه؛ وذلك لمصلحة بقاء نظامهما على قيد الحياة.



ثالث مرّة شفت هاملصقات ما كنت بسيارتي، لا.. كنت بالبيت وشفتهن عالكمبيوتر، والمقصود من الإشارة إنو قول أنو ما أنا اللي أخذت هالصور.. التصوير بالضاحيه مش مزحة.. بدك إذن خاص من حزب الله بالتصوير، وبيعود الأمر لكثير اعتبارات، وخاصة بعد حرب الـ ٢٠٠٦ اللي حوّلت الضاحيه كلها لمربع أمني محصن ضد أي احتمال لأي اختراق مخبراتي من قبل الأعداء الصهاينة وعملائهم من لبنانيين وعرب أو ضد أي عملية إعتداء عسكرية ممكن تطل الحزب بالضاحيه... لهيك الحمايه واجبه.. ولهيك كمان، إزا لقطوك عم بتصور بلا إذن مسبق مصيبه، عن جد مش مزحة، وفيك تبكي بنص الشارع عن جد ومش تمثيل.. قلت لنفسني، شو بدي بهالعلاقة، بلاها.. خلي حدا غيري يصورلي ياهن.. حدا شغلتنو التصوير فيه يقوم بالمهمه من دون مشاكل.. وبالأخير مش عم تصور شي خطير.. وهيك طلبت من صديقي حسام مشيمش أنو يقوم بالمهمه عني.. وهيدا اللي صار..

متل ما واضح بالصورة، الملصقات مركبين على عواميد الإنارة، على ارتفاع ثلاث أمتار من الأرض، بنص البولفار اللي بي فصل الخطين - خطين السير - عن بعض. على كل عامود فيه ملصقين مركبين بقفا بعض، واحد بتشوفو عَ خط الدخول وواحد عَ خط الخروج. الملصقات مصفوفه ورا بعضها بالتتابع. كل شهيد مجاهد عندو صورة واحدة، وكل الملصقات متطابقة.

الفصل الثاني

الصورة الثانية



الفصل الثاني رح يكون عن هاملصقات. أول مرّة شفتهن كنت بسيارتي.. شفتهن بالصدفه.. بالأساس هاملصقات ظهرت بعد حرب تموز ٢٠٠٦ بضاحية بيروت الجنوبية المعروفة بالضاحيه.. هالمنطقة اللي تعرضت لأعنف عملية تدمير من قبل طيران العدو الإسرائيلي.



تاني مرّة شفت هاملصقات كنت كمان بسيارتي بس هالمرة ما كانت بالصدفه.. قصدت روح شوفهن..

هول صور لمجاهدي المقاومه الإسلاميه في حزب الله، يللي سقطو شهداء أثناء تصديهم للجيش الإسرائيلي في جنوب لبنان.

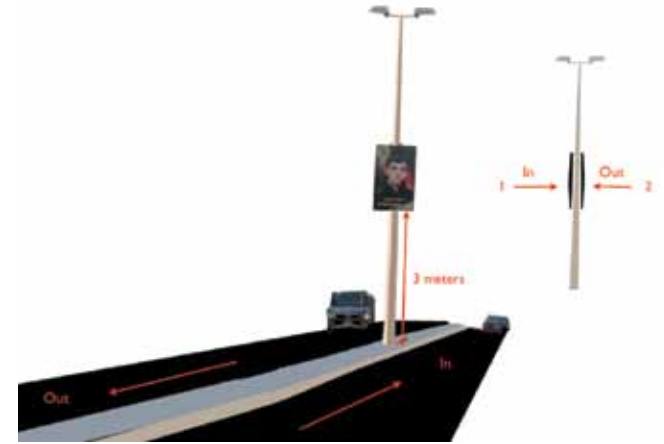
لهيك كل صور الشهدا بيحق لها نفس الملصق لتسكن فيه.. ملصقات مصممة بشكل لائق وجيد.. متساويه وبتشبه بعض.

ومتل ما معروف، بالإسلام متل ما كمان بكل الأحزاب الأصولية والإيديولوجية، الشهادة أعلى المراتب وليس قبلها ولا بعدها مرتبه، اللهم إلا إذا كان الشهيد بوزن عماد مغنية القائد والموجه العسكري في حزب الله أو الأمين العام السابق للحزب نفسه السيد عباس الموسوي اللي اتنيناتهن قضا اغتيالاً.. شهداء من هالوزن تبقى رتبهم وتُعلى مكانتها؛ فيصبح الواحد منهم شيخاً للشهداء أو سيد الشهداء... لهيك بتستحق صورهن ملصقات مميزة وأكبر حجماً لتسكن فيها.



بالحقيقة بعد ما في شي خارج عن المعتاد بهالملصقات باستثناء تفصيل واحد هوّي الجاكيتات العسكريه اللي لابسينها. كلهن لابسين نفس الجاكيت... نفس البدله العسكريه...

إيمتى تم تصوير هالأشخاص بهالزى الموحد؟ هل منطوق هالصور بيتطابق مع منطوق الصور الشمسيه اللي عادةً تُؤخذ لكل جندي بأي جيش نظامي؟ بهالحاله، هل فينا نعتبر أنو هالبدله العسكريه تمثل اللباس الرسمي لمقاتلي حزب الله؟ وهل حزب الله وتحديدًا المقاومه الإسلاميه تعتبر نفسها جيش نظامي متل أي جيش نظامي بالعالم؟ ولكن نحننا بنعرف انو هالمقاومه عندها تنظيم سري. هل هيدا بيعني انو هالصور ما بتظهر إلا بعد الموت؟ بهالحاله السؤال هو إيمتى أخذت هالصور؛ قبل انطلاقهن للقتال بوقت قليل أو بوقت طويل؟ وهل المجاهدين كانوا مدركين لموتهن فتصوروا هالصور لكي تُستخدم بعد الشهادة في ملصق يُفترض انو يكون تذكار وتكريم لتضحياتهن وعطاءاتهن اللي فعلاً لا تُقدّر بثمن؟ صوراً أرادوها لما بعد الموت؟ جهزوها وحفظوها قبل الرحيل الكبير ككفن؟ هل هالصور في هذا السياق، بمثابة كفن الشهداء؟



بالبدايه، ما لاحظت أي شي خارج عن المألوف. بلبنان معودين نشوف صور الشهدا وين ما كان، بأي شارع وبأي منطقة، ولكل التنظيمات والحزاب... كمان ما لاحظت أي شي خارج عن المألوف بالنسبة للتطابق الموجود في تصميم هالملصقات.. بلبنان كمان معودين نشوف ملصقات متطابقة وعندها نفس التصميم الفني. هاي مثلاً مجموعة أولى لشهداء الحزب السوري القومي الاجتماعي، من أرشيف الجامعة الأميركية.



إجمالاً التطابق بالتصميم إذا بيدل ع شي فهو التالي: عند الاستشهاد كل الرتب الحزبيه تصبح متساويه وتختفي التراتبيه.. هيك اللي كان قائد مجموعاً أو قائد فصيل أو مقاتل عادي بيصير برتبة شهيد.. الكل سواسية وبرتبه واحده ألا وهي: الشهيد البطل أو الرفيق الشهيد أو المجاهد الشهيد وإلى آخره.. ما حدا أعلى من حدا.. ولا أفضلية لحدا على حدا..

بالحقيقة لمن شفت هاملصقات بتاني مشوار عملتو، لاحظت فيهن شي غريب، بس ما كنت أكيد من الموضوع. لمن تمخنت فيهن منيح تأكدت شكوي.



الغريب بهالصور هو أجساد الشهداء. اكتشفت أنو كلهن عندهن نفس الجسد.. وهالصور مانها إلا صور مركبه، يعني فوتومونتاج.. أي مفبركين.. .. والمونتاج طبعاً مش واضح أو مقصود يكون مش واضح ليخلق هالوهم براس الناظر، وبالتالي يصدق إنو هالصور ما فيهن أي تلاعب ولا فبركه. ولكن إذا بتطلع منيح بلا حظ إنو هالجسد مش لهالوجه. هيدا جسد من دون هويه. جسد لواحد مجهول.



بيدو أنو المصممين الفنيين بجهاز حزب الله، جهّزوا ملصق خاص لتكريم وتخليد شهدائهن.

ملصق واحد لكل مجاهد شهيد. الخلفية نفسها، الألوان هي هي، والخط نفسو، الحجم

لكن بيبقى فيه سؤال معلق مرتبط بهالمسأله تحديداً. ليه تم اختيار بدله عسكريه ومش بدله إسلاميه كلباس موحد. أو بكل بساطه، ثيابهن العاديه..



اليوميه.. متل ما باقي شهدا اللي ظهرو باملصقات ذات التصميم الموحد؟

عم بسأل لأنو إجمالاً البدلات العسكريه ما عندها هويّه واضحه. فيها تكون لأي جيش بالعالم حتى جيش العدو نفسو. إذًا، ليه تم اختيار بدله عسكريه "متغربة" (نسبة للغرب) ، مُعَمَّمه ومُعولمه؟ شو الإغراء اللي بتقدمو هالبدله؟

وبالحديث عن اللباس الموحد، يخطر عبالى اللباس الشرعي للمرأة المسلمه، وتحديداً الحجاب. يقول الشيخ نعيم قاسم: "إننا أردنا للباس الشرعي للمرأة المسلمة، أن يحمل معاني الجهاد والممانعة للمشروع الغربي المتأمرک والمتصهين لمنطقتنا الشرق أوسطية."

ولكنْ بهالحاله كيف فينا نفسر اختيار رجال حزب الله لأنفسن هالبدله العسكريه "المتغربة" كلباس موحد لمجاهديهن؟ وكيف فيه الحزب يفسر هالتناقض بين هويتين، وحده ممانعا للغرب ووحده تتماهى مع الغرب؟

أصابو.. عالأرجح لأ، والموضوع فيه يكون موجود باللاوعي الجماعي عند هالطائفه الي كل سنه بتستعيد مقتلة الحسين في ذكرى عاشوراء.. وأكيد ما رح أدخل بعملية تحليل نفسي للجماعة، لكن...

ولكن... عندي ميل لقول أنو هالصور مزبوطين وما فيهن أي تركيب.. وهامليل الي عندي جاي من هالخوف. الخوف أنو حدا يتجرأ ويلعب بصور الأموات. بلاقي هالفعل عنيف وبيوجع ومؤذي؛ أنو يحمل ما، حدن عن سابق تصور وتصميم يقص صورة ميت ويلعب فيها، حتى لو كان هالشي جاي عن حسن نيّه وقصد شريف. فيه هالة حول صور الأموات ما فينا ما نحترمها.

هوّي هالخوف يمكن كمان نابح من أنو هالعاده تصوير موضه، نموذج يُحتذى به من قبل الأحزاب والتنظيمات الأخرى، مثل ما كل شي بهالزمن، فيه يتحول بسرعة لموضه ويفقد قيمته... على كل حال يبدو بلش هالأمر يصير. شوفو هاملصق للي أعدد لاستقبال مقاتلي حركة أمل الي استشهدوا دفاعاً عن أرض لبنان.



فيه شي ما عم يرق بسهولة.



يعني، شو رأي أصحاب هالصور بجسدهم الجديد؟ هل يبسعدهن؟ بيحزنهن؟ شو بيقولو عوائل الشهداء لما رح يشوفو ولادهن بأجساد جديده؟ أرملة الشهيد كيف بتتطلع على جسد زوجها المستجد؟

هُوي هُوي، أما الجسد فنفسو هُوي بذاتو بيتكرر.. مرًا بيكون جالس frontal ومرًا ماييل شوي عاليمين ومرًا معكوس أفقيًا - (flip canvas horizontal) - فيصير ماييل شوي عالشمال.. الجسد نفسو بتلات وضعيات جاهزة لتستقبل وجوه الشهداء حسب الوضعيه الي أخذها كل واحد منهن بالصورة الأصلية... ملصق حاضر وجاهز وما ناقصو إلا الراس والإسم؛ اسم صاحب الوجّ ليكتمل. الاسم كمان عندو محلّو تحت كلمتين مطبوعتين بخط كبير نسبياً:

المجاهد الشهيد الي بيتصدرو أسفل الملصق. وطبعاً بفضل الفوتوشوب يُقص الراس من الصورة الأصل ويُصق على الملصق المعدّ والجاهز؛ أي Cut and paste.

رزمة من التساؤلات:

ليه تكريم الشهداء بدّو يكون عبر استبدال أجسادهن بجسد آخر مجهول؟ شو صار بأجسادهن الشخصية؟ وبنها؟ وليه تم استبدالها عن الصورة؟ هل لأنها ما بتليق بصور الشهيد مع آل التعريف؟ أو لأنو الصورة الي صارت أحد أسلحة حزب الله الأساسيه بمعركتو ضد الأعداء؛ هيدي الصورة بتفرض تستقبل أجساد ما عندها شروط هالمعركة الطاحنه الي عم بتدور رحاها في ميدان الميديا أو الإعلام؟

هل مجتمع المقاومة بيخاف من أجساد أبنائو فيستأصلها من الصور ويبعدها جانباً؟ هل هوي خوف من الجسد بحد ذاته لما يمكن أن يُفرزو من نجاسات متوالدة دائماً وأبداً؟ جسد معرّض دائماً للتلوّث وعليه يُطلب أن يُطهر من رجسه؟ هل لهيدي الأسباب وغيرها يتم حذف أجساد الأفراد واستبدالها بجسد واحد صلب قوي ونظيف.. جسد واحد لجميع الوجوه؟ عالأرجح هالوجوه بهالمصقات ما بتمثل أصحابها كأفراد أنما بتمثل الجماعة الي بتنتمي إليها؟

الوجّ مثل ما معروف، هو الهوية الفرديّه لكل واحد منا واللي بتميّزو عن الأشخاص الآخرين. والوجّ فيه يفضح أسرار صاحبو وفيه يخبئها.. بس الوجوه بهالصور ما عم بتخبّي أسرار.. فسيماؤهم على وجوههم. وجوههم تُفصح عمّا في قلوبها.. كل واحد منهم بوجّ واحد، عكس العدو يللي بألف وجّ ووجّ.. وجوه الشهداء عم بتقول كلها نفس القول، وكأنو كلهن عندهن نفس الوجّ.. وجّ واحد عم بيقول نحنا عشاق الشهاده. والشهادة هنا لوجه الله ومرتضاه. والله لا وجه له لأنه وعلى ما كتب جلال توفيق: **الله فعل صرف**. لهيك وجوه الشهداء كلها مجتمعة معاً هي وجه الله في الدنيا والآخرة.

جسد بانتظار رأس...

ما بعرف بشو كانوا عم يفكرو المصممين الفنيين بحزب الله هني وعم بيقومو بعملية قطع الرووس عالفوتوشوب. ما بعرف. بس هل إجا عبالهن للحظة مقتلة الحسين وما

متل ما بتعرفو بهالبلد كل شي عرضة للاعتداء وخاصة الملتصقات والصور. يعني إذا في ملصق واحد بشي شارع، أكيد ماكسيموم بأسبوع زمان بيكون طار من محلو.



بس إذا كان عشر ملتصقات ع نفس الحيط، التعدي عليهن بيصير أصعب.



وفي حال كانو فوق الأربعين ملصق سوا أكيد هون ما حدا بيسترجي يقرب صوبهن.



هاي صورتي. رح أقطع راسي منها. وركبه ع هالجسد. وبالنسبة لجسمي الشخصي أنا، ما بقا عندو عازه، فينا نرميه بسلة المهملات.

وكأني عم بشهد ع جريمة عم تحصل بعالم افتراضي. ما في مكان محدد للجريمة، ما في أدلة ماديّة بين إيدينا.. ما في جثّه، ولا في قاتل.. جريمة ما فيها دم ولا حتى بصمات. جريمة عم تحصل بنظافه مُطلقة.



لهيك، أنا شخصياً بفضّل أنو صدّق أن هالصور مش مفركين ولا ملعوب فيهن.. هول صور مزبطين وما فيهن أي مونتاج.. وبما إنو هالصور ما أخذت لمن كان اصحابها على قيد الحياة، لهيك بقتراح أنو هالصور أخذت بعد الموت. بعرف إنو باقتراحي هيدا فيه كفر وتجديف. بس أنا ما هدي برهن هالشي ولا أقتع حدا فيه، كل الموضوع هو اقتراح غير واقعي كحجّه لفهم هالصور والتعمق بهالظاهرة والتفكير بمعنى ظهور الشهداء بملتصقات متطابقة وبجسد واحد متكرر..

بطلّ ع هالملتصقات وبقول لحالي يمكن هالمجاهدين الشهداء قررو يكونو سوا واختاروا هالجسد الذكوري القوي ببدلتو العسكريه ليظهوروا وكأنهن كتلة واحدة متماسكة وقوية، بحيث أنو ما في حدا يخرقها أو يتعرّضها بأي أذى.

٤. **الحالة الرابعة:** تجمع ملصقات من نفس الفصيل، قررت تظهر حالها كأنها جيش نظامي بمجتمع واحد مسكّر. بحيث أنو ما ممكن حدا يقدر يخرق هالتجمع/المجتمع ولا يدق فيه. أنا بسميهن **دولة الملصقات**. وهاي بعض أمثله.





بالعودة لموضوعنا الأساس، من المفيد نقول أنو هالشهدا شباب من هالمجتمع اللبناني، بتراوح أعمارهن بين ١٨ و ٣٤ وبتجمعهن قوة الإيمان بالله وعشقهن للشهادة. وأكد ما حدن منهن عم يستشهد من أجل أي مكسب مادي. وإذا سلمنا فرضاً إنو هالصور مزبطين وظهرت بعد الموت، ملاحظ إنو المجاهد بعد استشهادو رح يكسب جسد مقاتل قوي وصلب. الشهيد يرجع على عالم الأحياء لابس هالجسد المحارب،



ليقاتل من جديد و يستشهد، ليرجع من جديد يجاهد حتى الاستشهاد ويرجع... وهكذا دواليك. تماماً مثل ما قال محمد رسول الله: "ما من أحد يدخل الجنة ويحب أن يرجع إلى الدنيا إلا الشهيد، فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات". الشهداء يعودون أبداً، برغبتهم وبطواعيتهم...

مجاهدو حزب الله، أناس زاهدون، لا يبحثون عن الجنة كهدف ولا يريدون سوى رضا الله والتقرب من رسوله ومن صحبه أجمعين.. مثالهم الحسين ومرادهم الحسين ومطلبهم الشهادة على خطى الحسين وأمنيتهم لقاء الحسين... ولقاء علي وحمزة وجعفر والحسن

يمكن من هون إجت فكرة هالتجمع النظامي والعسكري لملصقات شهداء حزب الله ليحمو بعض من أي وافد غريب. أنا شخصياً أحصيت أربع حالات للملصق بلبنان، وأكد في حالات أكثر.. بس أنا رح إكتفي بأربع فقط:

١. **الحالة الأولى:** ملصقات منفردة، مستقلة، كانت عرضة لاعتداءات مباشرة من قبل آخرين، فتخزقت، تخرمشت، تشوهت، تنتفت وفُجرت. أنا بسميهن **ملصقات مأساوية**. وهاي بعض أمثله.



٢. **الحالة الثانية:** مجموعة من الملصقات طُردت وهُجرت من أماكن إقامتها.. ما قدرت تحمي حالها، وبالتالي اضطرت تنزح إلى حيطان تانيه بأماكن مجهولة. أنا بسميهن **ملصقات منفية**. وهاي بعض أمثله.



٣. **الحالة الثالثة:** صور إرفت من الوضع فقررت تبقى محلها بس من دون ما تتعاطى مع حدا.. كأنها طرقت البواب والشبابيك وما بقا بدها تضره، سكرت عجالها أو حدن سكر عليها بشكل إنو ما حدا يشوفها ولا تشوف حدا... أنا بسميهن **ملصقات مصدومة**. وهاي بعض أمثله.



صور رُفعت بوسط جادة عريضة بتفصل بين خطين مخصصين لسير السيارات، بولفار مهمتو أنو يسرع الحركة، والإبطاء عليه غير مسموح.. وأكيد ما في رصيف للمشاة... عالقليه بالنص، محل ما الملتصقات معلقين.

الاحتمال الوحيد لنقدر نشوف صورة وحده وبشكل واضح هو أنو نستعير تقنية السينما، نركب على Vespa أو نركب سيارة ونطل راسنا من الشباك.. وهي ماشيه بنصير نطلع على هالإطارات عم تمشي ورا بعضها.. حركتنا السريعة رح تتركب الإطارات ورا بعض متل ما بيصير بفيلم سينمائي عم يرم.. ولكن بما إنو الإطار هوّي نفسو عم يتكرر ما بنشوف إلا (still) لصورة وحده ثابتة هي صورة المجاهد الشهيد، بجسد مقاتل بلا إسم ولا وجه.. فالسرعة رح تخلي الوجوه والاسماء اللي عم تتعاقب بسرعة إنو تمحى..



وهيك الإسم رح يحمل كل الأسماء ومثل ما كتب نيتشه: وكل الاسماء بالتاريخ أنا... أما الوج، فسبحم أيضاً ملامح كل الوجوه وألوان كل العيون فيتحول إلى وجّ بلا وجّ.. أو وجّ لكل الوجوه.. إنه وجه الله.. والله نور لمن اهتدى.



وزين العابدين... شجرة تضرب جزورها عميقاً في التاريخ وتفرد أغصانها إلى يومنا هذا. سلسلة متصلة تبدأ بالشهيد الأول الحسين عليه السلام وتنتقل من شهيد إلى شهيد. شهداء رُفعت صورهن كسلسلة لا تنتهي.. يصفون ورا بعضهم البعض.. علقت على أعمدة الإنارة، كل شهيد ينظر أمامه إلى الشهيد الذي سبقه، ومن خلفه شهيد آخر ينظر إليه.. إنهم المشهد والمشاهدون في نفس الوقت... كل واحد منهن يملك نظرتين؛ نظرة عم تتطلع صوب حالهن كشهداء أبطال ونظرة ثانية عم تتطلع صوب الأحياء مجتمعين.. هالمجتمع أو الأصح الاجتماع من الأحياء يلي هوّي كمان يملك نظرتين؛ نظرة عم تتطلع من تحت لفوق عالشهدا بنظرة إكبار وتقديس ونظرة تانية عم تتطلع على حالهن كأحياء، نظرة مفعمة بالكرامة وبعزة النفس.

بتمشي إنت وعم تتطلع بتشوف صور مصفوفة ورا بعضها..المسافة بين صورة وصورة هي نفسها، دايماً نفسها...والارتفاع عن الأرض هوّي نفسو، الإطار تبع كل صورة هوّي ذاتو، نفس الشكل ونفس القياس..وطبعاً الجسد هوّي ذاتو..ما في شي عم يتغير ولا شي عم يتبدل إلا هالوجوه والأسماء....بتمشي إنت وعم تتطلع بتحس إنك مش عم تمشي لا بل ثابت بأرضك عم بتشوف نفس الإطار وبقلبو نفس الجسد، إطار ثابت بينما الوج عم يتغير والإسم كمان...جسد مرغوب ما فيك تملكو أكثر من لحظة..عم تتناوب عليه الوجوه، واحد ورا الثاني وكذا الاسماء..

بنمشي... وفي حال قررنا نوقف، رح نلاقي صعوبه بالغه.. الوقوف تحت صورة وحدي مش بهالسهولة.. رح يتسبب بقطع هالسلسلة، وبإعاقة حركة الشهادة.. عملياً، الوقوف تحت صورة وحده، رح يسمح لنا نتمعن بشهيد واحد، بوجّ واحد.. رح يصير فينا نقرا إسمو بوضوح ونحفظه عن غايب.. رح يصير فينا نتفرس بقسمات وجّو، نستجلب تاريخه الفردي



والخاص، نشوف لون العيون، نتذكر الإسم .. نسأل مين حبّ وشو كان يعمل، وشو كانت هواياتو، شو عندو ولاد، مين أبوه، مين أمه... التوقف تحت كل صورة رح يرجع لكل شهيد فرديته وتمييزه عن الباقيين.. رح ينتشلو من قلب الجماعة.. وهالشي أكيد رح يسبب بفرط هالسلسلة المترابطة، وبالتالي بتفكك هالجسد الواحد المصنوع للجماعة.

على كل حال صعوبة التوقف متأثيه من المكان اللي رُفعت فيه الصور.. اللي هو بولفار، مش شارع ولا زقاق..

الفصل الثالث

الصورة الثالثة



هوي: لمن الواحد يستشهد بيصير صورة معلقا ورا الشخص اللي عم بيسجل شهادتو قبل ما يروح عالموت، و لمن يستشهد بدورو رح يصير صورة إلى جانب الصورة اللي قبل، اتينانتهن معلقين ورا الشخص اللي عم بيسجل شهادتو قبل ما يروح عالموت، و لمن يستشهد بدورو رح يصير صورة إلى جانب الصورتين اللي قبل، معلقين ورا الشخص اللي عم بيسجل شهادتو قبل ما يروح عالموت، و لمن يستشهد بدورو رح يصير... وهكذا دواليك.

الي وهلني هو بالزبط الفكرة اللي قريتها بكتاب زينة، أئو لمن رح موت، بصير صورة بقلب صورة، الي هياي كمان صورة بقلب صورة وهكذا إلى ما لا نهاية..

ما بعرف، بس حاسس حالي مش قادر عمق كثير بتحليلي لهاظاهرة عند الحزب الشيوعي. يمكن لأنو في شي خصو بأفراد علمانيين بعاد عن المعتقد الديني والإيمان بحياة أخرى بعد الموت. أو يمكن لأنني أنا نفسي كنت عضو بالحزب وبعدي ما قادر إخلق المسافه الكافيه اللي بتسمحلي قوم بهالتحليل وهالتفكر؟

بين الصورتين اللي حكيتهن عنهن: صورة عبد الناصر والحريري وصورة شهداء المقاومة الإسلامية، في صورة تالتي هياي هاي، فيها تكون صورتنا اليوم، صورة بالغياب.. غياب الحزب عن لعب أي دور، غيابنا كيسار، كعلمانيين. والأصح، غيابنا كأفراد بهالمجتمع الطائفي. هاي الصور، موجوده بقلب أشرطة فيديو محفوظة بخجل، مختابيه بأماكن مجهوله بقلب هالمدينه اللي عم ترفض تقدم لهاالشهدا ولو جدار واحد ليطلو منو.. الحيطان مثل المدن مثل الأوطان، هني ملك الي عندو السلطة وبس..



لولا استشهدت وصارت صورة معلقا ورا وفاء اللي بدورها استشهدت وصارت صورة إلى جانب صورة لولا ورا جمال اللي بدورو استشهد وصار صورة إلى جانب الصورتين اللي قبل ورا اللياس اللي بدورو استشهد وصار صورة إلى جانب الصور التلاته اللي قبل ورا خالد اللي

هالصور مأخوذين من شريط فيديو، الأصح من عدة شرايط.. أكثرهن مأخوذين من الشهادات المسجله لبعض شهداء الحزب الشيوعي اللبناني اللي نفذو عمليات قتاليه وأحيانا استشهاده ضد الاحتلال الإسرائيلي ضمن العمل في جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية.. من شي سنه تقريبا وأنا وعم بقرا كتاب زينة معاصري: ملامح النزاع، الملتصق السياسي في الحرب اللبنانية، وتحديداً الفصل اللي بتحلل فيه ملصقات الشهداء، بانته لشي بهالشهادات المسجله فاجأني، وهلني.. شي كان موجود معي من زمان بس ما كنت منتبهلو من قبل، اللي

استشهد وهكذا.. وبالمناسبة خالد هُوِي دور لعبتو بسنة الـ ٢٠٠٠ بعرض عملتو مع إلياس خوري بعنوان: ثلاثة ملصقات. كنت عم بلعب دور الشهيد وكل هالشهدا ورايبي من دون ما انتبه..

بفكر بكل هالأمر، وبحس إنو الحزب الشيوعي وما بَقِي من اليسار اللبناي بعدهن أسرى هالمرحلة يللي ما بقا إلها وجود.. مرحله من الماضي وين كان بعد عندو هاليسار معنى لوجوده.. مرحله تم تجميدها تُبقي على هالوهم؛ إنو بعد في معنى لوجودنا مثل كأنو بعدنا عايشين بـ امارح..

وكانو هالفترة وُضعت بين مرايتين مواجهين بعض.. وصاروا ضايعين بهالمتاهة اللي خلقتها هالمرايتين.. بهالصورة المضروبه ببعضها إلى ما لا نهاية. بيطلعو لورا، عالماضي، بيشوفو تاريخ حافل بالنضالات والبطولات، بيتطلعو لقدام، عالمستقبل، وبيشوفو الأفق مفتوح وواعد بنصر آتٍ لا محال. بينما هوي بالحقيقة أنهن علقانين ونحنا علقانين معهن بين هالصورتين.. بين هالمرايتين... بين هالحيطين اللي كتير ضيقين ورح يفتسوننا لا محال.. بالنسبه لهالصورة بالذات، رح أكتفي بهالقدر وأترك الأمر لحدن تاني قادر يقوم بالمهمه أفضل مني..

خاتمة

الصورة الأخيرة

بَعثت رسالة لبعض معارفي، كتبت فيها التالي:
إذا طُلب منك أن تختار صورة لرسمك الشخصي كي تبقى تذكارةً لمحبيك من أقارب وأصدقاء في غيابك الأخير، صورة واحدة فقط ... فأية صورة تختار؟
بَعثت هالرسالة لخمسين شخص تتراوح أعمارهن بين الـ ١٨ والـ ٣٤، ما حدن استجاب لطلبي إلا لشخص واحد هو أنا نفسي.. أنا أنا.. لكن بدل الصورة كتبت لحالي رسالة بقول فيها:

عزيزي ربيع

أما بعد..

أينما تذهب فإنك مقتول، في الدنيا وفي الآخرة.

فعدراً منك لعدم استجابتي لطلبك ورفضي إرسال الصورة التي أردت؛

إذ لا أريد لصورتي من بعدي أن تُقتل أيضاً...

والسلام

ربيع